دور التنغيم في إثراء المعنى، دراسة تطبيقية في سورة نــوح

د . سمر محمد تيسير النويلاتي*
قسم اللغة العربية، كلّية التربية، أبو عيسى، جامعة الزاوية ، ليبيا
البريد الإلكتروني: s.nwelaty@zu.edu.ly
تاريخ الارسال 2025/9/21م تاريخ القبول 2025/10/25م

The Role of Intonation in Enriching Meaning: An Applied Study in Surat Nuh

Samer M. Tayssir El-Nowalati*
Department of Arabic Language, Faculty of education, Zawiya University, Libya

Abstract

Intonation is part of the study of speech phonetics in language, which focuses on its spoken dimension. Intonation plays a crucial role in enriching meaning and in interpreting certain syntactic phenomena. In many cases, pitch contour functions as a verbal cue upon which the semantic value of utterances depends. Intonation also exerts a striking psychological effect, capturing the listener's attention and arousing anticipation. For this reason, the present study examines *'The Role of Intonation in Enriching Meaning: A Phonetic–Semantic Applied Study in Surah Nūḥ'*. The objective of this research is to uncover the impact of intonation on enriching, clarifying, and delimiting meaning.
Keywords: intonation, meaning, Surat Nuh.

الملخّص:-

ينتمي التنغيم إلى دراسة صوتيات الكلام في اللغة، والذي يختص بدراسة الجانب المنطوق منها، وللتنغيم دورٌ مهم في إثراء المعنى، وفي تفسير بعض الظواهر النحوية، وتعدُّ النغمة في أحيان كثيرة قرينة من القرائن اللفظية تتوقّف عليها دلالة الألفاظ، وللتنغيم أثرٌ عجيب في النفس، يُثير في السامع انتباهاً وتشويقاً، ولأجل ذلك عنت النيّة على دراسة **(دور التنغيم في إثراء المعنى، دراسة صوتية دلالية تطبيقية**

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

في سورة نوح) والهدف من هذه الدّراسة هو الكشف عن أثر التنغيم في إثراء المعنى وتوضيحه وتحديده.

الكلمات المفتاحية: التنغيم، المعنى، سورة نوح.

المقدّمـــة :ـ

إنَّ الاهتمـام بـأداء الكلمـات والنطـق بهـا مـن أهـمّ الجوانـب التـي أكّـدها (علـم اللسانيات)؛ فدراسة الأصوات هي البدايـة الأولـى لمعرفـة وإتقـان أيـة لغـة مـن لغـات البشر، والأساس الذي تنطلق منه الدراسات اللغوية، ودراسة التنغيم تنتمي إلى دراسـة صوتيات الكلام في اللغة، التي تختص بدراسة الجانب المنطوق منهـا، ونظـراً لأهمّيـة التنغيم انكبَّ الباحثون في مختلف اللغات على دراسته في ألسنتهم، أمَّـا دراسـة التنغيم في العربية ففي بداياتها، ولا توجد دراسات تطبيقيـة كافيـة فـي هـذا المجـال، مـن هنـا اتقدت شرارة الحماسة للبحث في هذا الموضوع بعد أن تبلور الإحسـاس بـدور التنغيم المهم في إثراء المعنى، ودوره أيضاً في تفسير بعض الظواهر النحويـة، وتعدُّ النغمـة في أحيان كثيرة قرينة من القرائن اللفظيـة تتوقّـف عليهـا دلالـة الألفـاظ، وللتنغيم أثـر عجيب في النفس، يُثير في السامع انتباهاً وتشويقاً، وإنَّ أجمل ما يعنُّ لـدراس العربيـة هو أن يسعى باحثاً مزهواً في أرقى ميادين البحث ألا وهـو فـي كتـاب العربيـة الأكبـر (القرآن الكريم) فهو يعدُّ بحقّ معيناً ثراً للدراسـات اللغويـة والنحويـة والبلاغيـة، فهـو يمثّل أعلى درجات الفصاحة والبيان العربي، ولأجـل ذلـك عنـت النيّـة علـى دراسـة (دور التنغيم في إثراء المعنى، دراسة صوتية دلالية تطبيقية في سـورة نـوح) ففـي هـذا البحث سأحاول الوقوف على روافد التنغيم البارزة فـي هـذه السـورة، ودورهـا الفاعـل في إثراء المعنى، وسأجيب عن التساؤلات منها: ما التنغيم الـدلالي ؟ ومـا أهميتـه فـي التحليـل الـدلالي؟ وهـل عُرفـت ظـاهرة التنغيم عنـد علمائنـا القـدامى؟ وغيرهـا مـن التساؤلات التي تدور في أذهان الباحثين، قسّمتُ البحـث علـى مقدّمـة وثلاثـة مباحـث وخاتمة.

خصّصت المبحث الأوَّل للحديث عن مفهوم التنغيم لغة واصـطلاحاً، وعـن أهمّيـة التنغيم، وأقسامه ومكوّناته، أمَّا المبحـث الثـاني فأفردتـه للحـديث عـن وظيفـة التنغيم، وعن التنغيم بين القدامى والمحدثين، وسأحاول أن أبرهن أنَّ هذه الظاهرة موجودة عند علمائنا غير أنَّها ليست بصورتها الحالية، أمَّا المبحث الثالـث فسـيكون دراسـة تحليليـة

لأثر التنغيم في إثراء المعنى في سورة نوح، وسأظهر فيه أثر هذه الظاهرة في تفسير بعض القضايا النحوية والدلالية وسأناقشها تنغيمياً.

المبحث الأوَّل ـ أوَّلاً ـ مفهوم التنغيم لغة واصطلاحاً

تُشـــكّل الجمل في الكلام وحدة صوتيّة كلّية، تُسمّى التنغيم Intonation، والتنغيم عامل لغويّ ذو أهمّية فائقة، يُساعد على فهم الكلام، وهو من الظواهر الصوتيّة على جانب كبير من الأهمية والتي لم تُعرف قديماً بهذا المصطلح (التنغيم)، بل وقع استخدام النحاة بما يوافقه وهو(الترنيم) ويُقصد بها تغير درجة الصوت عند سيبويه، والتنغيم من ظواهر ما فوق التقطيع، ومن المباحث الصوتية الفونولوجية التي تظلّ في حاجة إلى الدراسة والبحث، وهي بالغة الأثر في دراسة النحو والدلالة، مع أنَّها ليس سوى نوعاً من أنواع التلوين الموسيقي للكلام، الذي لا يظهر كتابةً ولا تقطيعاً، لكن المتكلّم يمارس التنغيم في كلامه بما يقتضيه غرضه، وما يتطلّبه السياق والمقام، " فالتنغيم يُترجم حال المتكلّم من غضب ودهشـــة" (في الأصوات ووظائفها، محمد منصف القماطي، 1986، 156) ويأس، وأمل، وفرح، وحزن، وقد يتوقّف فهم المعنى في حالات كثيرة على الطرائق الصوتية (التنغيم) ومن هنا تبرز أهمّية دراسة الجانب المنطوق من الكلام، ومن هذا الجانب يُعدُّ أكبر أهمّية من الكلام المنظور (اللغة العربية مبناها ومعناها، د.تمام حسَّان، 46)

إنَّ تدعيم الجمل والعبارات بألوان صوتية مختلفة، وإيقـاع مختلـف يجعـل الحيويـة تدبُّ في تسلسل المعنى حين يكون الأداء جيّداً ومتميّزاً، والتنغيم يُساعد على الوضوح وسهولة الإدراك، وتنغيم الجملة يجعل الإحساس بها أكبر وفهمها لها أوضح، ويضـفي على اللغة كمالاً.

تعريف التنغيم لغـــةً: لا توجـــد في المعاجم التي توافرت لدي كلمة (تنغيم) مصدر (نغّمَ)، إنَّما ذُكرت تحت مادّة (نَغَمَ)، ويذكر صاحب العين "نغم: باب الغين والنون والميم معهما، النغمة: جرس الكلام وحسن الصوت من القراءة ونحوها، تقول: ما نغم بكلمة." (العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، 1988، 426/4) ويزيد عليه صاحب اللسان ويقول: " والنَّغم الكلام الخفي ... وسكت فلان فما نغم بحرف." (لسان العرب لابن منظور 590/12) ، فالتنغيم من خلال التعريفات السابقة يأخذ مجموعة من المعاني منها ما يتعلق بحسن الأداء الصوتي في القراءة مثلاً، أو الحسن الطبيعي للصوت، وقد بأخذ معنى ما خفي من الأصوات، ولم يبن، ويشير إلى معنى أكثر عموماً؛ وهو النطق بصفة عامّة.

وتُجمع النغمة على أنغام، وجمع الجمع أناغيم، ورجل نغَّام، كشداد: كثير النغمة. (تاج العروس للزبيدي، 105/17) و" نغم في الغناء كضَرَبَ، ونَصَرَ، وسَمِـــعَ." (تاج اللغة وصحاح العربية،1987م، 2045/5)

مما سبق نستنتج أنَّ كلمة (تنغيم) لم توجد على هذه الصورة، وكأنّي بها مصطلح حديث، ويقول د. عصام نور الدين: "إنَّ التنغيم والنغمة مصطلحان مرادفان عند علماء الأصوات، ويطلقان على منحنى الجملة اللحني؛ أي ارتفاع الصوت في السلسلة الكلامية." (علم وظائف الأصوات، د. عصام نور الدين، 1992، 119) ولكن هذا الرأي من وجهة نظري قد جانبه الصواب، فالتنغيم غير النغم، التنغيم في الجملة الكلامية، والنغم في الجملة الموسيقية، إلاَّ في حالة قصدنا نغم الجملة.

التنغيم اصطلاحاً: تنوّعت تعريفات الدّارسين كلّ بحسب وجهة نظره، ومن أبرز هذه التعريفات عند الغربيين ما ذكره ماريو باي حيث قال أنَّ التنغيم " عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين" (أسس علم اللغة لماريو باي، ترجمة أحمد مختار عمر، 1983م، 93) ويرى المستشرق مالمبرج أنَّ التنغيم نوعاً من أنواع النبر، ويسمّيه النير الموسيقي، (علم الأصوات لمالمبرج، ترجمة عبد الصبور شاهين، 1989م، 209) ، ولم يُفرّق المستشرق الألماني براجشتراسر بين التنغيم والنغمة (التطور النحوي لبراجشتراسر، ترجمة رمضان عبد التواب،1997، 70).

لكن اللغويين العرب منهم من فرّق بين التنغيم والنغمة مثل: د. حلمي خليل حيثُ ميّز بينهما بقوله " النغمة (Tone) وهو الذي تقوم فيه الدّرجات الصوتية المختلفة بدورها المميّز على مستوى الكلمة المفردة، وكذلك يُسمّي نغمة الكلمـــة (Word tone) والتنغيم (Intonation) وهو الذي تقوم فيه درجات الصوت المختلفة المميز على مستوى الجملة أو العبارة" (مقدّمة لدراسة علم اللغة، د.حلمي خليل،199) ويقول إبراهيم أنيس أنَّ التنغيم هو " موسيقا الكلام" (الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، 1990، 175) أمَّا في المعاجم العربية للمصطلحات، فقد عرفّها المعجم المفصّل بأنّه" نوع من موسيقا الكلام بواسطته يتسنّى للدارس أن يعرف كثيراً من خصائص الكلام كالتّفريق بين الجملة المثبتة، والاستفهامية، ولاسيما إذا لم توجد صيغ نحويّة خاصّة تقوم بهذا التّفريق كتعبير التعجّب والاستفهام وأكثر ما يوجد في اللهجات العاميّة نحو: (أخوك أتى) جملة مثبتة و(أخوك أتى؟) جملة استفهامية." (المعجم المفصّل في علوم اللغة، د. محمد النوجي، 1993، 207) وإذا استثنينا عبارة (موسيقا الكلام) لوجدنا أنَّ هذا التعريف ينظر إلى التنغيم من زاوية واحدة، هي زاوية الوظيفة وهذا الكلام غير كافٍ؛ لأنَّه يضع التنغيم

في إطار التفريق بين الجمل من ناحية نحويّة فقط، وأيضاً يقصره على اللهجات العامّية، فلا أعتقد أنَّ هناك تنغيماً لجملة استفهام في العامّية، ولا يوجد تنغيماً لها بالفصحى، والأكثر من ذلك أنَّه كتب المثال بالفصحى، والذي ترتضيه هذه الدراسة من التعريفات السابقة أنَّ التنغيم هو: " الإطار الصوتي الذي تُقال به الجملة في السياق" (اللغة العربية مبناها ومعناها، د. تمام حسّان، 226)

مما سبق نرى أنَّ التنغيم هو عنصر الموسيقى في الكلام، ويبدو ذلك العنصر في ارتفاعات وانخفاضات أو تنوعات صوتية تسمّى نغمات الكلام، إذاً التنغيم هو التشكيل الصوتي الموسيقي للجملة بحسب المعنى المراد منها أو بحسب ما يقتضيه السياق، مع تغيّر درجة الصوت.

ثانياً ـ أهمّية التنغيـــــم : تنبه علماء اللغة إلى أهمّية التنغيم، والحاجة الماسّة إليه، وذلك عند دراسة طرائق الأداء المختلفة عند القراء من وقف، وسكت، ووصل، ومد، حيث أنَّها تحمل معها عند النطق بها تنغيمات مختلفة، فالتنغيم هو أحد سمات الأداء الذي لابدَّ من وجوده في أي لغة، فاختلاف نغمات الكلام شيء طبيعي في اللغة، فالاختلاف في درجة الصوت على الكلمة المنطوقة هو المسؤول عن تحديد معناها. وعند استنباط النحاة لقواعد اللغة لم يهملوا دلالة التنغيم، فقد اعتمدوا على مشافهة الفصحاء والسماع منهم وعلى ضوء سماع نطقهم وضعوا القواعد، فقد كان نطقهم يحمل تنغيماً معيّناً، كما في كم الخبرية، وكم الاستفهامية، والاستفهام، والاستفهام الخالي من الأدوات، والتعجب، والإغراء، والتحذير. فمعرفة طرق الأداء والنطق الصحيح، لا يقلُّ أهمّية عن معرفة علم النحو، فالأصل في اللغة أن تكون منطوقة، كما عرّفها ابن جنّي: بأنَّها" أصوات يعبّر بها كلّ قومٍ عن أغراضهم" (الخصائص لابن جني، ج33/1) والكتابة هي صدى ومحاولة لنقل وتصور المنطوق، لذا ابتكر العلماء وسائل استعانوا بها أحيانا بوضع علامات ورموز لتوضيح المراد وبيان للمطلوب، فطرائق الأداء التي يتمّ بها نطق الجملة له أثرٌ كبير في المعاني المراد إبلاغها.

إذاً التنغيم عنصر مهمّ من عناصر الأداء، وعدم إتقانه يؤدّي إلى عدم الوضوح، فحسن الأداء ووضوح المعاني من أهمّ ما سعى إليه علماء العربية.

ثالثاً ـ أقسام التنغيم ومكوّناته: عرفنا أنَّ التنغيم هو التغييرات التي تطرأ على درجة الصوت أثناء الكلام من علو وانخفاض، فيطبعه بهذا الطابع أو ذاك، وينتج عنه تغيير حركة النغمة من دون أنْ تنقطع أو تتوقف، ولهذه النغمة عدّة تقسيمات، وقد قسّمها

العلماء بطرائق مختلفة كلّ حسب وجهة نظره، أو حسب اختلاف المنهج المتّبع، قسّمها د. أحمد مختار عمر خمسة أنواع:

1- النغمة المستوية
2- النغمة الصاعدة
3- النغمة الهابطة
4- النغمة الصاعدة الهابطة
5- النغمة الهابطة الصاعدة. (دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر،192)

وقسّمها محمد علي الخولي أربعة أنواع

1- النغمة المنخفضة
2- النغمة العادية
3- النغمة العالية
4- النغمة العالية جداً (معجم اللغة النظري، محمد الخولي،217)

وأعمق محاولة وأدّقها هي محاولة د. تمّام حسّان، إذ قسّم شكل النغمة المنبورة في المجموعة الكلامية إلى قسمين:

1- اللحن الذي ينتهي بنغمة هابطة
2- اللحن الذي ينتهي بنغمة صاعدة

والمدى بين أعلى نغمة وأخفضها قسّمها إلى ثلاثة أقسام:

1- المدى الإيجابي: وبكون في الكلام الانفعالي، تصحبه عاطفة مثيرة.
2- المدى النسبي: ويكون في الكلام العادي (المحادثة العادية).
3- المدى السلبي: ويكون في الكلام العاطفي (عاطفة الحزن) أو الكلام الهامس ذي الصوت المنخفض، وسمّاها الموازين التنغيمية، كما سمّينا الموازين الأخرى صرفية؛ وقسّم هذه الموازين إلى ستة أقسام:

1- الإيجابي الهابط: تأكيد الاستفهام، تأكيد الإثبات، والاستفهام يكون بكيف، وأين، ومتى، وبقية الأدوات، عدا هل والهمزة.
2- الإيجابي الصاعد: يكون في تأكيد الاستفهام بهل والهمزة.
3- النسبي الهابط: يكون للإثبات غير المؤكد وتفصيل المعدودات، والنداء، والاستفهام بغير هل والهمزة.

4- النسبي الصاعد: ويكون للاستفهام بهل والهمزة أو بلا أداة.
5- النسبي الهابط: في تعبيرات التسليم وعبارات الأسف والتحسّر مع خفض الصوت.
6- السلبي الصاعد: هو الذي ينتهي بنفحة ثابتة أعلى ممّا قبلها، وتكون في العتاب والتمنّي، والفرق بين المديات الثلاث في علو الصوت وانخفاضه.

وأضاف نغمة مسطّحة، وهي لا بالصاعدة ولا بالهابطة، وتكون عند الوقف، ولك **وجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ يَقُولُ الإنسانُ يَوْمَئِذٍ أيْنَ المَفَرُّ** ﴾ (من سورة القيامة، آية 8) ، فالوقوف عند البصر، والقمر، القمر، بنغمة مسطّحة، وذلك لعدم تمام المعنى، أمَّا الوقوف عند (المفرّ) فبنغمة هابطة وذلك لتمام المعنى. (مناهج البحث، د. تمام حسان،203، بتصرّف).

حصر الدكتور تمّام حسّان النماذج التنغيمية التي قدّمها بعدد محدد، وهذا يوقعنا في التقعيد، ولم يذكر الأسس التي اعتمد عليها في سنّ هذه القواعد، وتحدّث عن لغة عدن التي اعتمد عليها في دراسته، ولم يذكر أمثلة من هذه الدراسة، الأمر الذي جعل هذه القواعد فيها شيء من القصور، إلاَّ أنَّ له السبق في هذا المجال.

هناك تقسيمات كثيرة لا يسع المجال هنا لذكرها جميعهاً، لكن على ما يبدو أن تقسيم ماريو باي أكثر تلاؤماً مع اللغة العربية، فضلاً عن أنّها تستوعب الدلالات الإضافية التي تخرج إليها، ويمكن توضيحها بالشكل التالي:

1- النغمات الصاعدة: وتعني وجود درجة منخفضة في مقطع أو أكثر تليها درجة أكثر علواً منها، وهي تتمثل في أساليب الاستفهام، والأمر، والنهي المحض والتعجب والإثارة والترغيب.

2- النغمات الهابطة: وتعني وجود درجة عالية في مقطع أو أكثر، تليها درجة أكثر انخفاضاً، وهي تتمثّل في أسلوب التمني، والتهكّم، والحزن.

3- النغمات المستوية: وتعني وجود عدد من المقاطع تكون درجاتها متّحدة، وقد تكون هذه الدرجات قليلة أو متوسطة أو كثيرة، وهي تتمثّل في الأسلوب الخبري، والتقريري، والنداء المحض وطلب الانتباه. (أسس علم اللغة لماريو باي، ترجمة أحمد مختار عمر، 1973، 93)

المبحث الثاني ـ أولاً- وظيفة التنغيم :

قلنا سابقاً أنَّ التنغيم من الظواهر الصوتية المهمّة، لأنَّه يُساعد في تحديد المعنى، وفي تنميط الجمل إلى أنواعها النحوية، وهناك من عدَّ التنغيم جزءً من النظام النحوي،

ورغم ذلك لا يمكن تصوّر التنغيم إلَّا في الكلام المنطوق، لأنَّه -كما ذكرنا سابقاً- عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية في الحدث الكلامي من رفع الصوت وخفضه في الكلام للدلالة على المعاني المختلفة في الجملة الواحدة. وللتنغيم وظائف مختلفة في التحليل اللغوي وفي عملية الاتصال الاجتماعي وغيرها، ومن هذه الوظائف:

1- الوظيفة الصوتيـــــة: للتنغيم صلة وثيقة بالنبر وهما من الوحدات الصوتية التي لها وظيفة معيّنة في التركيب الصوتي؛ لأنَّها جزء أساسي منه، فهي ليست ظواهر تطريزية وإنَّما فونيمات أساسية، ويقول تمام حسّان: "الوظيفة الأصواتية هي النسق الأصواتي، الذي يستنبط التنغيم منها"(مناهج البحث اللغوي، تمام حسان،1974، 164)

2- الوظيفة الصرفيـــــة: قد يؤدّي التنغيم (النغمة) مؤدى في الصرف، فللصيغة الصرفية التنغيمية منحنى نغمي خاص بالجملة، يُعين على الكشف عن معناها اللغوي، كما أعانت الصيغة الصرفية على بيان المعنى الصرفي، فإذا قلت: (هو مجتهدٌ جداً) بنغمة صوتية (صاعدة هابطة) حتَّى آخرها، فإنّنا نعني بذلك (جملة خبرية) ولكن إذا قلنا بنغمة (هابطة صاعدة) فإنَّ المعنى يختلف مع أنَّ الصيغة واحدة. (دراسة الصوت اللغوي، لأحمد مختار عمر 94،1997)

3- الوظيفة الدلاليـــــة: ويراد بها التفريق بين المعاني، فالكلمة عندما تنطق بقالب نغمي معين، يكون لها معنى فإذا نطقت بقالب نغمي آخر، كان لها معنى آخر، ويُعدُّ التنغيم جزءاً مهمًّا من المعنى الدلالي، فبها يتمُّ معرفة المعاني المختلفة، ويمكن رؤيتها لا في علو الصوت وانخفاضه فحسب، ولكن في اختلاف الترتيب العام لنغمات المقاطع، فإذا قلت: جاءَ محمدٌ، قد تكون إثباتاً وقد تكون تأكيداً لمن قام بالحدث، والمعول عليه هنا النطق واختلاف طرائق الأداء. ودلالة التنغيم تظهر في الجمل المنطوقة (فكم) تكون استفهامية وتكون خبرية، والذي يحدد ذلك هو النغمات الصوتية التي يتمّ بها الأداء، والفرق بين دلالة الاستفهام والخبر تتضح في النغمة المرتفعة في الاستفهام والمستوية في الخبرية، وقول الشاعر خير مثال على ذلك بيت الفرزدق يهجو جرير: (ديوان الفرزدق، تقديم علي فاعور،1987، 312)

كم عمةً لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت عليّ عشاري

البيت هنا يستخدم كم الخبرية للتعبير عن الكثرة المبالغ فيها للإهانة، وليس للاستفهام عن العدد كم عمةٍ، أو كم خالة، إنَّ الفرق بين دلالة الاستفهام والخبر تتضح في النغمة المرتفعة في الاستفهام والمستوية في الخبرية، مستوية مرتفعة خبرية استفهامية، يقول سلماني العاني: "إنَّ الفرق الرئيسي بين هاتين الأداتين، يوجد في المعنى الذي هو الفرق بين الاستفهام للعلم بما يجهله المتكلّم ويعلمه السامع المخاطب، والإخبار الذي يعلمه المتكلّم علم اليقين ويجهله السامع أو المخاطب، ويوجد كذلك في المبنى وهذا ماثل في الحركة الإعرابية، وفي النغمة الصوتية التي هي في الإخبار نغمة صوتية مستوية بينما هي ذات نغمة صوتية صاعدة في معنى الاستفهام". فبالتنغيم نستطيع أن نميّز لغة الخطاب عن اللغة المكتوبة، فهو في الأولى كما الترقيم في الثانية، كلّ منهما يقوم بوظيفة دلالية في تحديد المعنى.

4- **الوظيفة الأدائية:** بها يتمّ نطق الجملة في اللغة حسب نظم الأداء فيها، وحسب ما يقتضيه العرف عند أهل اللغة. لا يمكن أن نفصل الوظيفة الأدائية عن الدلالية فهما متلازمتان ومتكاملتان رغم أنهما مختلفتان، لذا فإنَّ إيجاد قواعد عامَّة توضح التنغيم وأهمّية ما يسمّى بدرجة وتتابعها إنَّما هو على سبيل المقاربة.

5- الوظيفة التأثيرية: وهذه الوظيفة تعتمد على إظهار ما يجيش في نفس المتكلّم من فرح أو غضب، أومن تعجب أو دهشة، وغيرها من الانفعالات النفسية، وهذه الوظيفة تتصل بالمتكلّم أكثر من اتصالها بنظام اللغة، لذا نجد نغمة الشخص الغاضب المنفعل بموقف ما، صاعدة ونغمة الشخص الهادئ المستقر هابطة. لذا فالتنغيم له دوراً مهمّاً في تآزر جميع مستويات اللغة الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، لتحديد المعنى المطلوب.

ثانياً- من مظاهر التنغيم عند القدامى والمحدثين:

لم يكن اللغويين القدماء غافلين عن أثر التنغيم في دراستهم إلَّا أنَّهم لم يفردوا له باباً خاصَّاً في مؤلفاتهم، بل أوردوه ضمن موضوعات متنوعة، مثل: باب النداء من دون حرف النداء، والاستفهام من دون أداة استفهام والندبة، وحذف الصفة وغيرها، فوجدوا أنَّ هناك علاقة وطيدة بين التنغيم والتغيرات التي توحي بدلالة معينة والتي يعبّر عنها المتكلّم كالتعجب والفخر والتحقير وغيرها، وتنبه القدامى إلى هذه الظاهرة اللغوية منذ وقت مبكر، وكانوا على دراية تامّة بأهميتها وأثرها في معاني التركيب وتحديد الدلالة. (التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، لسمير العزاوي،110)

1- **التنغيم عند القدامـــــى:** إنَّ قواعد التنغيم في العربية قديماً مجهولة نوعاً ما بهذا المصطلح؛ لأنَّ النحاة لم يشيروا إلى شيء من ذلك في كتبهم (المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، لمحمد أنطاكي، 252) صراحةً لكن وردت من خلال تحليلاتهم لبعض السياقات اللغوية، وأنَّ كثيراً من معطيات اللسانيات لم تكن ببعيدة عن تصور أذهان اللغويين القدامى، فقد أثبت المحدثون بما لا يدع مجالاً للشك بنجابة وفهم اللغويين العرب لظواهر اللغة وحسن تعليلهم، وبراعتهم في التحليل والتفسير والاستنباط، وكان سيبويه أوَّل من أشار إلى هذه الظاهرة واستطاع أن يقوم بربط التنغيم ضمن سياقات الحدث الكلامي، وأنْ يحدّد نوعية الدلالات التي تتضمّنها الجملة الواحدة، ورأى سيبويه أنَّ التنغيم أداة مهمَّة للتفريق بين دلالات الأساليب اللغوية المختلفة. (الكتاب، لسيبويه،339/1) وجعل التنغيم وتباين النغمة؛ سبباً مهمّاً لذلك، حتّى تنسجم مع الغرض الذي يريده المرسل، فيقال: (ما أتاك الرجل) أي أتاك أكثر من ذلك أو عن الجنس يقول (أتاني رجل لا امرأة)، إذ يمكن التعبير عن ذلك من خلال اختلاف النغمة التي تنسجم مع المراد.

وقد ذكر في باب الندبة أنَّ المندوب مدعو؛ ولكنّه متفجّع عليه، فإنْ شئت ألحقت في آخر الاسم الألف؛ لأنَّ الندبة كأنَّهم يترنّمون فيها. (الكتاب لسيبويه، 220/2) والترنيم إنَّما هو مدّ الصوت وإطالته، وهو ظاهرة تنغيميه. وذكر في كتابه، قوله: " (هو عبد الله) و (أنا عبد الله) فاخراً أو مؤيداً وتقول (إني عبد الله) مصغراً نفسه لربه ثمَ تُفسر حال العبيد: أكلاً كما تأكل العبيد" (الكتاب لسيبويه، 228/2) ونرى أنَّ سيبويه في جملة (أنا عبد الله) لا يُعرف الفرق بين الفخر والتصغير إلَّا بواسطة التنغيم، الذي يظهر في اللغة المنطوقة، ولا يظهر في اللغة المكتوبة، وكذلك يظهر أثر تنوع النغمة في علامات الوجه، أو في حركات المتكلّم، كذلك قول سيبويه في أثناء تحليله بيت الشاعر جرير بن عطية:

أعبدالله حلَّ في شعبي غريباً ألوما لا أباك واغترابا

" وأمَّا (عبداً) فيكون على ضربين؛ إنْ شئت على النداء، وإنْ شئت على قوله: عليَّ أتفخر عبدا ثمَّ حذف الفعل" (الكتاب لسيبويه، 497/3). والمعروف في الأساليب النحوية أنَّ (تالله) أسلوب يفيد القسم والتوكيد، غير أنَّ النغمة الصوتية هي التي تحدد

هل هي قسم أو تعجّب، ولا يظهر هذا إلا في اللغة المنطوقة، وقوله في جملة (ما أنت وعبد الله) فهي تعطي دلالة التحقير، والتعظيم، استناداً إلى النغمة الصوتية التي تُقال بها الجملة، وذكر سيبويه أيضاً: كأنك قلت: ما أنت وعبد الله وأنت تريد أت تحقر أمره، أو ترفع أمره. (الكتاب، لسيبويه، 301/3)

ونرى مما سبق أنَّ (التنغيم) سبباً مهمّاً في تحديد الدلالات التي تتضمّنها الجملة الواحدة من تباين النغمة.

وذكر الجاحظ أنَّ " الصوت هو آلة اللفظ والجوهر، وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً إلّا بالتقطيع والتآليف وحُسن الإشارة باليد والرأس، ومن حسن البيان باللسان مع الذي يكون بالإشارة من الدل والشكل والتفتل والثني. (البيان والتبين، للجاحظ، 1423هـ، 84/1). وأمَّا ابن جنّي فقد أدرك بحسّه اللغوي أهمّية التنغيم ولكن ليس بهذا المصطلح، وذلك عند تفسيره لبعض المسائل الإعرابية، فعندما تعرّض لقضية حذف الصفة أشار إشارات لطيفة إلى النبر والتنغيم عند ذكره لكلام العرب "سير عليه ليل" قال: وكأنَّ هذا إنَّما حُذفت فيه الصفة لـمَّا دلَّ من الحال على موضعها، وذلك أنَّك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح (التطويل) والتضخيم والتعظيم، ما يقوم مقام قوله (طويل) أو نحو ذلك، (الخصائص لابن جني، 1952 269) كما أنَّك عندما تمدح إنساناً وتثني عليه فتقول: كان والله رجلاً! فتزيد في قوة اللفظ بـ (الله) وهذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها وعليها أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذل . وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانًا، إذ تمكّن الصوت بإنسان وتفخّمه؛ فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانًا سمحًا أو جوادًا أو نحو ذلك، وكذلك إنْ ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنسانًا! وتزوي وجهك وتقطبهُ، فيغني ذلك عن قولك: إنسانًا لئيمًا أو لَحِزًا أو مبخلًا أو نحو ذلك، وفي هذا التحليل نجد أنَّ ابن جنّي فطن إلى التنغيم وإلى دوره من دون تحديد المصطلح.

إذا نرى أن لعلمائنا المتقدّمين إشاراتٌ لظَاهِرةِ التَّنْغيمِ، ولـيس كمـا يقـولُ الـدُّكتورُ رَمضانُ عبدِ التَّوابِ: إنَّه لم يُعالِجْ أحدٌ منهم هذه الظَّاهِرةَ، ولم يَعرفْ كُنْهَها ؛ فقد جـاء في كِتابِ (نُجومِ البَيانِ في الوُقوفِ، وماءاتِ القُرآنِ) للإمـامِ السَّمَرقَنديّ (ت 780هـ) قولُه: "إنَّ العَربَ تَرفَعُ الصَّوتَ بـ(ما) النَّافيةِ والجاحِدةِ، وتَخفِضُ الصَّـوتَ بالخَبَريَّـةِ، وتُمكِّنُ بالاسْتِفهاميَّةِ بحيثُ تَصيرُ بينَ بينَ، أي: بـينَ النَّافيـةِ والخَبَريَّـةِ، مِثـالُ ذلـك: إنْ

قال قائِلٌ: ما قلتَ، ويَرفَعُ الصَّوتَ بها يُعلَمُ أنَّها نافِيةٌ، وإذا خَفَض الصَّوتَ يُعلَمُ أنَّها خَبَريَّةٌ، وإذا جعَلها بينَ بينَ يُعلَمُ أنَّها اسْتِفهاميَّةٌ" وإذا كان السَّمَرقَنديُّ لم يَسْتخدِمْ مُصْطلَحَ (النَّغْمةِ) في حَديثِه لكنَّ لكَلامِه أهمِّيَّةً؛ حيثُ اسْتَخدم المَعْنى الَّذي يُعطيه مَدلولُ التَّنْغيمِ، والتفخيم إعطاء الصوت قيمة صوتية مفخمة؛ فهذه المصطلحات لها تعلّق بالصوت وبدرجته أثناء النطق به. (الخصائص، لابن جني، 1952، 370/2)

2- **التنغيم عند المحدثين:** يعدُّ إبراهيم أنيس أوَّل من أدخل مصطلح التنغيم في الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، وسمَّاه موسيقى الكلام، وقال: "أنَ الإنسان حين ينطق بلغته يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات؛ فالأصوات التي يتكوّن منها المقطع الواحد، تختلف في درجة الصوت وكذلك الكلمات قد تختلف فيها ... ويمكن أنْ نسمّي نظام توالي درجات الصوت بالنغمة." (الأصول اللغوية، لإبراهيم أنيس، 1984، 175)

ويقول د. تمَّام حسَّان: "لا يفوتني أن أُشير إلى أنَّ دراسة النبر ودراسة التنغيم في العربية الفصحى، يتطلَّب شيئا من المجازفة" ويقول الدكتور في تعريفه للتنغيم "التنغيم ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام" ويقول أيضا: هي تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة وهو وصف للجمل وأجزاء الجمل وليس للكلمات المختلفة المنعزلة." (اللغة العربية مبناها ومعناها، تمام حسان، 1994، 225)

إنَّ الحاسة المرهفة الذي امتلكها علماء العرب قديما وحديثا، في تذوّق اللغة ومعرفة ما للتنغيم من دور مهم في تكييف عقل السامع لتقلي الكلام ومعرفة المراد منه.

المبحث الثالث- الدراسة التحليلية لدور التنغيم في إثراء المعنى في سورة نوح:

ذكرنا سابقاً أنَّ الوظيفة الأساسية للتنغيم، والتي يُراد بها، التفريق بين أنواع الجمل، وبيان وظائفها، وما يتصل بها من معانيها، وذلك عندما تنطق بقالب نغمي معين، يكون لها معنى، فإذا نطقت بقالب نغمي آخر، كان لها معنى آخر، ويتجلَّى ذلك في إيضاح المعنى في النص القرآني، في التفرق بين الاستفهام والنفي، وبين النفي والوصل، وأهمّيته تكون كبيرة في صحّة الأداء الصوتي، وتجويده، وبخاصّة في تعدد الاحتمالات النحوية، والتلوين الموسيقي متمثّلاً بالوقفات والسّتات، وما يصاحبها من نغمات مختلفة، ممّا ينتج عنه تغاير في التوجيهات النحوية.

وقد جمع القرآن الكريم بين موسيقى الشعر حيث نغمة الوزن والاهتزاز النفسي لها، وموسيقى النثر حيث الإيقاع العميق الذي يحدثه حسن توزيع الحروف ذاتها، والكلمات والعبارات، وموسيقى الحس حيث مشاركة الحواس لاهتزازات النفس من تأثير تموّجات الموسيقى، وموسيقى الروح حيث النشوة الهادئة النابعة من مجموع أنواع الموسيقى، فالقرآن الكريم اكتمال لنماذج موسيقية حيّة في تراكيب خالدة للغة العربية، لهذا رأينا الخشوع يغمر من يقرأ القرآن أو يستمع إليه، فمن إعجاز القرآن نظمه الموسيقي الرائع الذي يسيطر على مستمعيه ولو كانوا غير مسلمين.

فللتنغيم في القرآن الكريم دوراً كبيراً في تكييف عقل السامع، وتهيئته لتلقي الدعوة واستقبال ما جاء به من معان سامية، لذا فالتنغيم في القرآن الكريم يقع في مقدّمة ما جذب العرب للإسلام.

الدراسة التحليلية لأنواع التنغيم في سورة نوح:

1- قال تعالى: [إِنَّا أَرْسَلنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] (أية 1 من سورة نوح) في هذه الآية وقع نمط التنغيم الهابط على (إنَّـــا) مع شدّ على النون لإعطاء إحساس بالتأكيد والنغمة المنخفضة تصل إلى (قومهِ) فهي ليست استفهامية ولا انفعالية كانت جملة خبرية مؤكَّدة محذّرة، ووقع نمط التنغيم الصاعد قليلاً بالتدريج ليصل إلى (أنْ أنذر) فيرتفع الصوت للتأكيد على التحذير، ثمَّ يميل الصوت إلى الانخفاض حتَّى (أليم) كي يُعطي إحساساً بجدّية العذاب حتى الوقفة النهائية (أليم)، وتبرز أهمّية التنغيم هنا في إبراز مدى الجدية في التحذير، وإظهار المصير المحتوم للعصاة.

2- قال تعالى: [قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ] (آية 2 من سورة نوح) افتُتح الآية بـــ (يا قوم) بنغمة صاعدة لتوضيح أنَّ الخطاب مباشرة إلى قوم نوح، ذلك من خلال النداء وإطالة الصوت – أي مده - بـــ (يا) فربط مد الصوت بالمعنى، وذلك لجذب الانتباه وإبراز أهمّية الرسالة، ثمَّ تنخفض النغمة قليلاً على لفظة (لكم) ويعود صوت النغمة للارتفاع لإظهار التحذير وتخويفهم من الشرك بالله، وهذا ينقلنا إلى أهمية المشافهة بنقل التنغيم. (الزينة لأبي حاتم الرازي، 1985، 2/ 28) وجذب الانتباه من بداية الآية لجدية الموضوع.

3- قال تعالى: [نِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ] (آية 3 من سورة نوح) تبدأ النغمة (أن اعبدوا) بمتوسّطة ثمَّ ترتفع على (الله) لتأكيد العبودية لله وحده، ففي هذه الآية وقع

النمط الصاعد للتنغيم على (الله) و (أطيعون) وهذا أبرز ضرورة اتباع أوامر النبي لأنَّها جزء من طاعة الله سبحانه وتعالى.

4- قال تعالى: [يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] (آية 4 من سورة نوح) تبدأ الآية بنغمة مستوية لأنَّه موطن رحمة منبثق من الغفران (ومن) زيادة في الإثبات، ثمَّ تتحول النغمة إلى التحذير، وتنتهي إلى الحزم ويقين بنغمة مرتفعة قليلاً في قوله تعالى (إن جاء لا يؤخر)، بمعنى إذا جاء الموت لا يؤخّر بعذاب، وبادروا بالطاعة قبل حلول النقمة، مرت الآية بمراحل وتوازن صوتي بين الرحمة والتحذير والحسم.

5- قال تعالى: [قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا] (آية 5 من سورة نوح) تبدأ الآية بنغمة مرتفعة؛ لأنَّها تعكس حالة الدعاء والتضرع الدائم من دون ترك للدعوة لا في الليل ولا في النهار، من النبي نوح عليه السلام، ثمَّ تميل النغمة للهبوط قليلاً وذلك في قوله - تعالى- : **(إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي)** لأنَّها أدّت معنى السرد والإخبار، ثمَّ تنتقل النغمة إلى نغمة مستوية لنصل إلى نهاية الآية في قوله تعالى (ليلا ونهارا) أي سرّاً وجهراً، مع مد الصوت للفظة (نهارا) لإبراز الاستمرارية في دعوة نوح لقومه.

6- قال تعالى: [فلم يزدهم دُعآءِىَ إِلَّا فِرَارا] (أية 6 من سورة نوح)

تبدأ الآية بنغمة منخفضة لتعكس حالة الاستغراب مع الحزن والاستنكار التي يشعر بها نبي الله نوح من عدم استجابة قومه له تتمثَّل في قوله تعالى: (فلم يزدهم دعائي)، ثمَّ ترتفع النغمة في قوله (إِلَّا) وهي أداة حصر وتأكيد؛ لتؤكّد الإحباط الذي وصل إليه نوح -عليه السلام- في الدعوة المكلّف بها، ثمَّ يعود الانخفاض التدريجي للنغمة ليصلَ إلى قوله تعالى: (قرارا) لتقرر الحصيلة النهائية لمصير الدعوة. فأهمّية التنغيم تظهر في تدرّج النغمة من المنخفض إلى الارتفاع التدريجي ثمَّ ترجع للانخفاض لتعكس الحزن واليأس الذي يشعر به جراء الهروب والإعراض من قوم نوح.

7- قال تعالى: [وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَبِعَهُمْ فِي ءاذانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَاصرَّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارا] (آية 7 من سورة نوح) تبدأ الآية الكريمة بنغمة هادئة تعتمد على الخبر المؤكَّد، على الرغم من حالة العناد والتكبّر لدى قوم نوح – عليه السلام - وذلك في قوله تعالى: (إِنِّي كلَّما) ثمَّ تبدأ النغمة في التصاعد و الارتفاع التدريجي، لإظهار العناد والرفض من القوم، عن قبول الحق، ثمَّ تستمر نغمة

الرفض في الارتفاع لتعكس مدى إصرارهم واستكبارهم عن قبول الحق، حتَّى قوله تعالى: (واستغشوا ثيابهم) و ويصل التنغيم ذروته في قوله تعالى: (واستكبروا استكبارا)، تؤدَّى بنغمة قوية ومرتفعة لتأكيد المعنى، وتصوير عمق المعاناة التي واجهها سيدنا نوح في دعوته لقومه، والاستكبار العظيم من قومه.

8- قال تعالى: [**ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارا**] (أية 8 من سورة نوح)

يبدأ التنغيم في هذه الآية بنفس النغمة السابقة الهادئة والمنخفضة نسبياً، مع إظهار معنى جديد في تطور الدعوة إلى الجهر فتنوع الدعوة لتكون أنجع، ثمَّ ترتفع النغمة تدريجياً، وتصل ذروتها على كلمة (جهارا) فتُقرأ بنغمة مرتفعة لتؤكّد المعنى، وهو الإعلان الصريح للمواجهة المباشرة، وهذا التنغيم يعكس قوّة الإرادة التي يتمتّع بها النبي نوح - عليه السلام – وصبره وحكمته في الدعوة إلى الله.

9- قال تعالى: [**ثُمَّ إِنَي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارا**/] (أية 9 من سورة نوح)

تبدأ الآية الكريمة بنغمة منخفضة وهادئة، وقد اعتمدت على المدود في إيقاع الآية تنغيمياً، فالمدّ في كلمتي (إنِّي – أسررت) ساعد على إطالة النغمة ومنح التلاوة مداً طبيعياً، والإيقاع المتكرر لكلمة (إسرار) تُعدُّ بمثابة تأكيد إيقاعي لكلمة (أسررت) يساعد على ترسيخ المعنى في ذهن المستمع، والتناغم الصوتي بين تقنيات التنغيم نقل المعنى بعمق وجمال، وخلق إيقاع مؤثّر.

10- قال تعالى: [**فقلتُ استغفروا ربَّكم إنَّه كَانَ غفَّارا**] (أية 10 من سورة نوح)

تبدأ هذه الآية بنغمة متوسطة (فقلت) لأنَّها مقدّمة للحديث، ثمَّ ترتفع النغمة قليلاً في قوله تعالى: (استغفروا) للتأكيد على معنى الدعاء، ثمَّ ترتفع النغمة قليلاً على مع المد الطبيعي (الباء) في كلمة (ربكم) لإظهار الاحترام، وترتفع النغمة عند نهاية الآية في قوله تعالى: (غفَّاراً) لجذب الانتباه وترغيب في التوبة، لأنَّ الاستغفار ممحاة للذنوب.

11- قال تعالى: [**يُرسِلِ السَّمآءَ عَلَيْكُم مّدْرَارا**] (أية 11 من سورة نوح)

تبدأ الآية بنغمة متوسطة على (يرسل) ثمَّ ترتفع وتستمر النغمة في التصاعد لإظهار القوّة الإلهية، مع المدّ في (السمآء) ثمَّ تنخفض في كلمة (عليكم) وتكون الجملة في أعلى نبرتها عند كلمتي (السماء، ومدرار) مع ميل للارتفاع في نهاية الآية؛ لجذب الانتباه.

12- قال تعالى: [**وَيُمْدِدْكم بِأَمْوَالٍ وَبَنينَ ويَجْعَل لَّكمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارا**] (أية 12 من سورة نوح)

نفس الآية السابقة ابتدأت بنغمة متوسطة ثمَّ يميل التنغيم تصاعدياً للتأكيد على النعم، مما يعكس كثرة العطاءات، وهذا الارتفاع عزز المعنى المراد وأبرز الوعد الإلهي، وتؤدى بأسلوب ترغيبي.

13- قال تعالى: [**مالكم لا تَرجونَ لله وَقَاراً**] (أية 13 من سورة نوح) ابتدأت الآية بنغمة مرتفعة صاعدة من الاستفهام (مالكم) والمعنى المراد من هذا التنغيم هو التعجب والاستنكار من عدم تعظيم الله حقَّ عظمته، تم قوله تعالى: (لا ترجون) هنا رجاء بمعنى الخوف، تُنطق بنبرة أشد مع انخفاض في النغمة ثمَّ تهبط النغمة في (وقارا) لتؤكّد معنى الاستنكار والتوبيخ.

14- قال تعالى: [**وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً**] (أية 14 من سورة نوح) ابتدأت الآية بالربط عن طريق (و) حرف عطف، بنغمة متوسطة؛ للتحفيز على الانتباه، وكلمة (قد) تدلُّ على القوّة، فكانت البداية تأكيدية قوية، وتصل النغمة ذروتها في الارتفاع على كلمة (أطوارا) لإبراز المعنى الأساسي للآية وتأكيده وهو مراحل الخلق وتطوّره.

15- قال تعالى: [**ألم تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَواتٍ طِبَاقًا**] (أية 15 من سورة نوح) تبدأ الآية بالاستفهام، بنغمة مرتفعة للفت الانتباه، وكلمتي (خلق، والله) يمثّلان الذروة التنغيمية للآية، وتبقى النغمة مرتفعة نسبيا في قوله تعالى: (سبع سماوات طباقاً) لتوضيح التناسق والنظام الإلهي.

16- قال تعالى: [**وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِهِنَّ نُورا وَجَعَلَ الشَّمْس سِرَاجاَ**] (أية 16 من سورة نوح) تبدأ الآية بنغمة متوسطة مع مدٍّ خفيف لكلمة (القمر) وفي هذه الآية تنغيم مميز لأنَّها تحوي ذروتين؛ الأولى على كلمة (نوراً) لتسليط الضوء على النور الإلهي، والثانية على كلمة (سراجاً) لتأكيد دور الشمس كمصدر للضوء، وهناك انخفاض طفيف عند الكلمات (فيهن، وجعل) الأولى لتوضيح السياق المكاني، والثانية لتوضيح القدرة الإلهية.

17- قال تعالى: [**واللَّهُ أَنْبَتَكُم مّنَ الأرْض نَبَاتاً**] (أية 17 من سورة نوح) تبدأ الآية بأسلوب خبري قوي، والنغمة فيها مرتفعة قليلا لتسليط الضوء على الذات الإلهية، للدلالة على تقرير مؤكّد، وفي قوله (أنبتكم من الأرض) تنخفض قليلاً، وتستمر في الانخفاض حتى نهاية الآية لتمام المعنى.

18- قال تعالى: [**ثُم يعِيدُكُمْ فِيهَا ويُخْرِجَكُمْ إِخْرَاجاً**] (أية 18 من سورة نوح) تبدأ الآية بنغمة متوسطة مستقرّة هادئة بأداة العطف (ثمَّ) لربط الحدث بما قبله، وتصعد قليلاً على

كلمة (يُعيدكم) ثمَّ ترجع وتنخفض قليلاً على كلمة (فيها) لتحديد المكان دون التأثير على قوة المعنى، ثمَّ ترتفع قليلا على (ويخرجكم) لتصوير قوّة الخروج وإظهار الفعل، ثمَّ تنتهي الآية بامتداد صوتي والذروة في التنغيم عند (إخراجاً) لتأكيد فعل الإخراج مع استقرار صوتي لتأكيد المعنى.

19- قال تعالى: [واللَّه جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضِ بِسَاطاً] (أية 19 من سورة نوح) تبدأ الآية بنفس نغمة الآية السابقة بأسلوب خبري متوسط النغمة مع استقرار وامتداد على لفظ الجلالة، ثمَّ ترتفع النغمة قليلا على قوله تعالى: (جعل لكم الأرض) مع امتداد بسيط، ثمَّ تنخفض النغمة انخفاض مستقر على كلمة (بساطا) مع امتداد بسيط لتقوي معنى الانبساط والانتشار.

20- قال تعالى: [لِتَسلُكوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجا] (أية 20 من سورة نوح) ، وتستمر الآية كسابقتها بنغمة وسطية هادئة مستقرة، إلى أن نصل إلى الكلمة (سبلاً) نجد ارتفاع نغمي واضح لأنَّها تعطي معنى الكثرة والانفتاح، ثمَّ تهبط النغمة في كلمة (فجاجاً) لتؤدّي معنى الاستقرار والاكتمال بعد التوسع.

21- **قال تعالى: [قال نُوحٌ رَبِّ إنّهم عَصَوْني وَاتَّبَعُوا مَن لمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارَا]** (أية21 من سورة نوح) تبدأ الآية بالأسلوب الخبري هادئ (قال نوح)، ثمَّ ترتفع النغمة لانتقال الأسلوب من الخبري إلى الانشائي، عند النداء (رب) ثمَّ يعلو الصوت عند (عصوني) ثمَّ تنخفض النغمة عند (من لم يزده) لأنَّها جملة وصفية، وبعدها تصل النغمة للذروة التنغيمية عند (خسارا) وهي النتيجة النهائية للآية.

22- قال تعالى: [ومَكَرُوا مَكْرا كُبَّارا] (أية 22 من سورة نوح) على الرغم من أنَّ الآية قصيرة لكن إيقاعها قوي ومتصاعد، فتبدأ الآية بنغمة متوسطة ثمَّ تتصاعد تعطي تمهيدا لبداية الجملة، ثمَّ تنزل النغمة على كلمة (مكرا) للدلالة على معنى أعمق وأخطر لإبراز التأكيد، ثمَّ تصعد النغمة بشكل واضح حتّى تصل القمّة وخاصّة على (الباء) مع التشديد في كلمة (كبَّارا) لتضفي دلالة القوّة والتضخيم.

23- قال تعالى: [قالوا لا تذرنَّ ءالهَتَكُم وَدًّا ولا سُواعاً] (أية 23 من سورة نوح)

24- قال تعالى: [وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً] (أية 24 من سورة نوح) تبدأ الآية بنغمة مستوية تقريرية فيها نغمة تحذير وتأكيد، ثمَّ تتصاعد تدريجياً وطفيفاً عند (لا تذرن) للدلالة على التحريض، ثمَّ يبدأ بذكر أسماء الأصنام وتؤدى بنغمة متدرجة، ويكون التركيز التنغيمي على أسماء الأصنام لتظهر، وتُقرأ بتصاعد طفيف حتى قوله

تعالى (ونسرا) تختم بنغمة هابطة لتضفي إحساسا بانتهاء التعداد.

25- قال تعالى: [وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرا ولا تزد الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالا] (أية 25 من سورة نوح) تبدأ الآية بنغمة متوسطة لأنَّها اعتمدت على الإخبار، ثمَّ تتصاعد في قوله تعالى: (ولا تزد الظالمين) مع حدّة، ثمَّ تصل إلى ذروة التنغيم حتّى يكتمل المعنى المراد وهو مصير الظالمين.

26- قال تعالى: [مِمَّا خَطِيئتهم اغْرقُوا فَادْخلوا نَارا] (أية 26 من سورة نوح)

تبدأ الآية بنغمة متوسطة مع مد حزين على كلمة (خطيئتهم) أي بسبب خطاياهم أُغرقوا بالطوفان، ثمَّ ترتفع النغمة مع نبرة الشدة وقوة على كلمة (أغرقوا) للدلالة على القوة وهي الذروة الأولى، ثمَّ ترتفع النغمة أكثر وهي الذروة الثانية في قوله (فادخلوا نارا) لتدل على الرهبة.

27- قال تعالى: [فلم يجدُوا لهم من دون الله أنصَارا] (أية 27 من سورة نوح)

تبدأ الآية بارتفاع خفيف أعلى من الآية السابقة قليلا، لأنَّها جملة تقريرية في قوله تعالى: (فلم يجدوا)، ثمَّ تهبط النغمة قليلاً على كلمة (لهم من دون الله) ثمَّ تعلو عند (أنصارا) مع هبوط تدريجي للصوت، لأنَّ البنية التنغيمية دلَّت انتهاء المعنى واستقرار الحكم.

28- **قال تعالى: [وَقالَ نُوحٌ ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً]** (أية 28 من سورة نوح) تبدأ الجملة خبرية، بنغمة منخفضة مستقرّة هادئة في قوله تعالى: (وقال نوح) ثمَّ ترتفع النغمة قليلا عند النداء في قوله تعالى: (ربِّ) ثمَّ تهبط النغمة قليلا عند كلمة (لا تذر) مع لحن فيه رجاء وحزم، وبعدها تستوي النغمة في قوله تعالى: (على الأرض)، ثمَّ تُقرأ (من الكافرين) بنغمة أوضح مع صعود ومدّ قوي، ثمَّ تُختم الآية بهبوط في النغمة لإعطاء شعور بالانتهاء والقطع.

29- قال تعالى: [إِنّك إِنْ تَذَرْهم يُضلوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُ إِلَّا فَاجِراً كَفَّارا] (أية 29 من سورة نوح) تبدأ الآية بجمله خبرية تقريرية هادئة، ثم يبدأ الصوت بالارتفاع في قوله تعالى: (يضلّوا عبادك) ليدل على خطرهم على المجتمع، ثمَّ تتصاعد النغمة ثانية عند كلمة (ولا يلد)، ثمَّ القمّة النهائية في قوله تعالى: (كفَّارا) وتُقرأ بنغمة عالية حاسمة.

30- قال تعالى: [رَبِّ اغفر لي ولوالدي وَلِمَن دَخَلَ بيتي مُؤمِناً وللمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات ولا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارَاً] (أية 30 من سورة نوح) تبدأ الآية بالدعاء مع نغمة هادئة

خاشعة عند قوله تعالى: (اغفر لي)، ثمَّ يرتفع التنغيم قليلا تدريجي يبدأ من قوله تعالى: (والديّ) مع خشوع، وتوسّع تدريجي وتصاعد النغمة حتَّى (والمؤمنات)، وفي ختام الآية نجد هبوط قوي وقاطع عند (تبارا) للدلالة على الفصل بين فريق المؤمنين وفريق الظالمين.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة التنغيمية عبر كلام الله سبحانه وتعالى في سورة نوح نستنتج الآتي:

1- إنَّ التنغيم ركن أساسي في الأداء لا تخلو منه أي لغة من لغات البشر.

2- إتقان التنغيم ومعرفته أمرٌ بالغ الأهمّية لما له من صلة بالمعنى فهناك وظائف عدّة للتنغيم.

3- لعلماء العربية إشارات ذكية تدلُّ على تنبههم لما للتنغيم من أهمّية في تفسير وتوضيح المعاني بدقّة.

4- التنغيم ليس محصوراً فقط في درجة الصوت وإنما هو مجموعة معقدة من الأداء الصوتي بما يحمل من نبرات، وفواصل، وتتابع مطرّد للسكنات والحركات التي يتم بها الكلام.

5- إنَّ للتنغيم أهمّية بالغة في إزالة اللبس عن معنى الجملة وبه يُدرك الفرق بين المعاني، وله دور في تعيين الدلالة المعنية.

6- التنغيم يقتصر على التراكيب المسموعة أمَّا التراكيب المقروءة فقد استعاضت عنه ببعض رموز وعلامات الترقيم لتدلّ بها على الاستفهام والتعجب والاستغاثة والدهشة وغير ذلك.

7-يُعدُّ التنغيم دلالة نحوية بالدرجة الأولى، لا كما في النبر الذي دلالته صرفية، لأنَّ التنغيم مجاله التراكيب، والنبر مجاله الكلمات.

8- تمتاز سورة نوح بنبرة قوية وحزينة تعكس حالة نوح عليه السلام مع قومه.

9- إنَّ أساليب الاستفهام والنداء والإغراء والتحذير التي تناولها النحاة بالدرس والتقعيد تحمل في طياتها عند النطق بها تنغيمات مختلفة تتدرّج بين الصعود والانخفاض والاستواء.

10- تبدأ الجمل الخبرية التقريرية بنغمة هادئة، وأحياناً بنغمة مستوية، عندما تكون الجمل تعتمد على الإخبار، وتهبط قليلا إذا أُلحقت بنفي.

11- ان النحاة يستعملون طرائق معينة في أدائه ((تنغيمات مختلفة))، فالنطق بالإغراء له نمط معين وللتحذير أداء محدّد وكذلك التعجب، والاستنكار، والأسلوب الخبري الخالي من التوكيد، والأسلوب الخبري المؤكّد (أي حسب غرض المتكلّم)

12- والتنغيم هو الذي يبرز خصائص بعض الأساليب والتراكيب التي تكون محذوفةً بعضُ عناصرها فمثلاً، هناك التراكيب التي تحوي على أدوات استفهام وليست استفهامية، وتلك التي لا تحتويها والسياق يشير إلى الاستفهام فيها

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم، برواية قالون
2- أسس علم اللغة، تأليف ماريو باي، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط1983/2م.
3- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1990/3م.
4- البيان والتبين، لعمرو بن بحر الجاحظ، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط/1423هـ.
5- تاج العروس للزّبيدي، تحقيق علي شيّري، دار الفكر للطباعة والنشر.
6- تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين، ط1987/4م.
7- التطور النحوي لبراجشتراسر، ترجمة د. رمضان عبد التواب/ مكتبة الخانجي القاهرة، ط1997/3م.
8- التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، لسمير العزاوي.
9- الخصائص لابن جني، تحقيق محمد النجار، ط/ دار الكتب المصرية.
10- دراسة الصوت اللغوي، لأحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، 1997،
11- ديوان الفرزدق، شرحه وقدَّم له أ.علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1987/1م.
12- الزينة، أبو حاتم الرازي، تحقيق حسين بن فيض الله الهمداني، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1985.
13- علم الأصوات لبرتيل مالمبرج، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط/1989م:209.
14- علم وظائف الأصوات (الفونولوجيا)، د. عصام نور الدين، دار الفكر اللبناني، ط1992/1م.
15- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي،
منشورات الأعلمي، لبنان، ط/1988م.
16- في الأصوات ووظائفها، د. محمد منصف القماطي، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، ليبيا،1986م.
17- الكتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجبل، بيروت.
18- لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت.
19- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء.
20- المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها لمحمد الأنطاكي.
21- معجم اللغة النظري محمد علي الخولي، مكتبة لبنان، بيروت.
22- المعجم المفصّل في علوم اللغة (الألسنيات) إعداد/ د. محمد التونجي، أ.راجي الأحمر، مراجعة د. إميل
يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1993م.
23- مقدّمة لدراسة علم اللغة، د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية: 1982.
24- مناهج البحث اللغوي، تمام حسّان، دار الثقافة، البيضاء، المغرب، 1974م.